رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

WWW. almadasupplements.com

العدد (4314) السنة السادسة عشرة - الأربعاء (21) تشرين الثاني 2018

رفعت السعيد

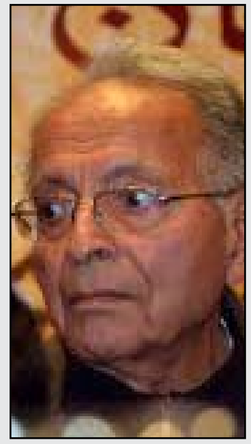

رفعت السعيد.. القامة المضيئة

بأسىً عميق تلقينا خبر رحيل الدكتور رفعت السعيد، المناضل السياسي المرموق والمثقف والمفكر الماركسي البارز. وإذ ننعيه معكم، فإنما نتذكر مكانته وإسهاماته ودوره في النضال الموصول، دفاعاً عن اهداف التحرر الوطني وقيم العدالة الاجتماعية والديمقراطية في مصر والعالم العربي.

وليس من اليسير تعداد مساهمات الفقيد ومآثره ومبادراته لتفعيل النشاط الحزبي في إطار ما كان يُتاح من حريات وقبول. وقد كان نشاطه المثابر يتميز بارتباطٍ وثيق مع جُهد فكري منهجي لتأصيل المواقف والسياساتً التي يرى تبنيها واشاعتها في الحياة السياسية والتبشير بها في الاوساط العربية التقدمية.

وتظل مساهمته القيادية في تأسيس حزبكم تحت زعامة القامة المضيئة في مسيرة الحركة الوطنية المصرية والعربية خالد محيٍي الدين موضع تقييم مؤثر، بوصفها تأكيداً على الانفتاح والبحّث علىً ما يجمع ويوحد القوى المعنية بقضية التحرر والتقدم بغض النظر عن التباينات والاجتهادات والاختلاف فيما هو جانبيٌ وثانوي.

إن التقدميين في العراق والمثقفين بوجه خاص يتذكرون للراحل الفقيد عطاءاته الدائمة على الصعيد السياسي والفكري، وسيفتقدونه في هذا الظرف العصيب والمعقد، حيث تهيمن قوى "التأسلم" السياسي، المنافقة والمرائية على المشهد الراهنٍ في العالم العربي وفي منصاتها الاكثر تأثيرا، لكن ما تركه رفعتَ السعيد من تراثٍ على صعيد التصدي لحركات التأسلم في مصٍر والبلدان الاخرى الحاضنة للإرهاب والتكفير، من شأنه إبقاء وهج حضوره وتأثيره. لكم ولزملائه في التجمع ومحبيه ولأسرته الكريمة الصبر والسلوان.

فخري كريم

رئيس المجلس العراقي للسلم والتضامن
رئيس مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

من برقية تعزية لاسرة الراحل

فـي صُحبة الدكتور رفعت السعيد

مراد وهبة

تزاملنا فى مجلة «الطليعة» منذ صدورها فى أول يناير ١٩٦٥ بناء على مطلب من رئيس الدولة جمال عبد الناصر، ومع ذلك اشترط عدم تدخل الرقيب أو أى مسئول آخرٍ حتى لو كان الأستاذ هيكل الذى كان فى حينها رئيساً لتحرير صحيفة الأهرام مع أن المجلة تصدر عن مؤسسة الأهرام. وكان لطفى الخولى رئيس تحرير المجلة ويعاونه ميشيل كامل وعبد المنعم القصاص وسعد زهران ويوسف أبو سيف وكلهم شيوعيون أفرج عنهم عبد الناصر فى عام ١٩٦٤، وهو العام الذى أسس فيهٍ «التنظيم الطليعي» والذى كانت مجلة الطليعة منبراً له. وفى نهاية ذلك العام دعانى لطفى الخولى إلى الكتابة منذ العدد الأول، ثم المشاركة فى اجتماعات هيئة التحرير. وبعد فترة انضم إلينا رفعت السعيد وكاٍن يدون فى صمت مع تعليقات موجزة قد تكون أحياناً ساخرة.

وإثر غلق الرئيس السادات مجلة «الطليعة» فى عام ١٩٧٧ واصلنا اللقاء فى «دار الثقافة الجديدة» لمالكها ومديرها محمد يوسف الجندي. وكان رفعت السعيد عضوا معه فى حزب حدتو. وكنت أنا متعاطفا مع مدير الدار بحكم أن الدار قد غامرت بطبع «المعجم الفلسفى» الذى أمضيت سبع سنوات فى إعداده للنشر وذلك بسبب تهديد أى دار نشر توافق على نشره. وأظن أن سبب هذا التهديد مردود إلى أن أربعة من كبار أساتذة الفلسفة أصدروا كتابا عنوانه «مصطلحات الفلسفة» (١٩٦٤) اقتصروا فيه على وضع المقابل العربى للمصطلح الافرنجى دون تعريفه ودون شرحه. وقد قالوا إن هذا الكتاب تمهيد لمعجم شامل يشتمل على تاريخ المصطلح مع ايراد النصوص المؤيدة. إلا أن هذا المعجم لم يصدر حتى الآن. وكانت اللقاءات تضم قيادات حدتو فيما عداي، إذ كنت متعاطفا أكثر منى ملتزما. والجدير بالتنويه فى هذه اللقاءات أنه عندما يحدث اختلاف فى الرأى بينى وبين رفعت السعيد كان يقول لى عبارة مأثورة «يا دكتور نحن لسنا فى الجامعة». والمغزى أننى أكاديمى منعزل عن النشاط السياسى والحزبي، إلا أن هذه العبارة كان يرددها أيضا لطفى الخولى إذا حدث خلاف فى الرأي. وكنت فى كل هذه الحالات ألوذ بالصمت حتى تنتهى الجلسة. وعندما أصدر الرئيس السادات قرارا بتأسيس الأحزاب تأسس «حزب التجمع" فى نهاية عام ١٩٧٦ وكان يضم أربعة تيارات سياسية «الناصرية والإسلامية والماركسية والقومية». وكان لكل تيار نسبة مئوية من الأعضاء. وإثر الانتهاء من تأسيس الحزب فى سياق النسب المئوية المقررة لكل تيارٍ قال لى لطفى الخولي: «للأسف لم نجد لك مكاناً فى الحزب فقد امتلأ». والمفارقة هنا أن صحيفة الجمهورية نشرت خبراً مفاده أننى انضممت إلى الحزب فسألت رفعت السعيد: إيه الحكاية؟ أنا لم أملأ استمارةٍ العضوية، ولا أنا اقترحت على أحد أن أكون عضواً فى الحزب. وكان جواب رفعت السعيد المقتضب: «خطأ صراع" وامتنع عن الافصاح فاكتفيت بما قال. ومع ذلك فقد كنت على علاقة حميمة مع بعض قياداته، وكان الذى يخبرنى بما يدور فى الحزب هو الزاهد الشيوعى يوسف أبو سيف. وذات يوم دار الحوار الآتى بينى وبينه فى سياق ترشح رفعت السعيد لرئاسة الحزب للمرة الثانية:

قلت: هل ستنتخب الدكتور رفعت السعيد؟

قال: لا أريد ومع ذلك سأنتخبه لأن حزب التجمع بدونه لن يكون له وجود. ومع هذه الاجابة دار فى ذهنى ما أتصوره علاقة جدلية بين العامل الموضوعى والعامل الذاتي. وهذه العلاقة تعنى وحدة وصراع الأضداد، أى تعنيٍ أن ثمة تضاداً بين طرفين نؤلف بينهما. وتأسيساً على ذلك يمكن القول إن العامل الموضوعي، فى حالة رفعت السعيد، هو التجمع فى تياراته الأربعة المتنوعة، وفى علاقته بالأحزاب السياسية الأخرى من حيث الاتفاق والافتراق. أما العامل الذاتى فهو رفعت السعيد ذاته فى تعامله مع هذه التيارات. وهو فى هذا التعامل يتجاوز الحد الذى ينبغى ألا يتعداه بصفته رئيساً للحزب. فالحزب يضم التيار الإسلامى ومع ذلك فإنه يهاجم الإخوان المسلمين أو ما يطلق هو عليهم مصطلح «المتأسلمون». وهو فى هذا الهجوم يقترب من السلطة السياسية فى موقفها من هؤلاء ويبتعد عن الحزب الذى يٍرأسه. ومع ذلك فإنه ينتخب للمرة الثانية. وتأسيساً على ذلك كله هل يمكن القول إن رفعت السعيد نسيج وحده؟

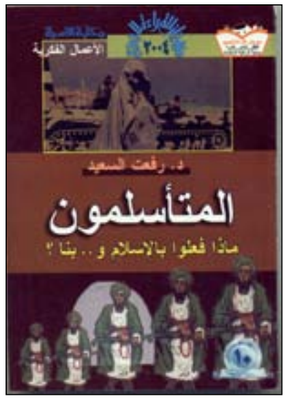

أظن أن الجواب وارد فى كتابين أحدهما عنوانه «أزمة الفكر العربى والإسلامى». وفى الإهداء كتب العبارات الآتية:

الأستاذ الدكتور مراد وهبة

لا أجد ما أقوله لك سوى ما قاله غاندي: «يتجاهلونك ثم يستخفون بك ثم يهاجمونك ثم تنتصر». وأظن أن ما قاله عنى يمكن أن يقال عنه ويعنى به أن التطور لا يرحم فالبقاء للأصلح وما يتبقى يتحول إلى حفريات.

أما الكتاب الآخر فعنوانه «مصر... التنوير عبر ثقب إبرة». وهو فى هذا الكتاب يقتبس عبارة من كتابى المعنون «جرثومة التخلف" وهى كالآتي: كلما زاد عدد المحرمات ازداد تخلف المجتمع. والمقصود بالتخلف هنا هو ما أراه ويراه معى رفعت السعيد وهو التخلف الحضارى وليس التخلف التكنولوجي. فمهما نستورد من أدوات تكنولوجية والعقل فى حالة غياب فالتخلف فى طريقه إلى النمو. الجرأة فى إعمال العقل فى جميع المجالات هو الكفيل وحده بتخطى حاجز الخرافة والأسطورة والقفز فوق خمسة قرون من التخلف. وهذا هو معنى التنوير الذى يلزم تأسيسه من غير وهم بأنه قائم ولكن بوعى بأنه قادم إذا التزمنا سلطان العقل، وإذا التزم حزب التجمع بأن يكون فى صحبة الدكتور رفعت السعيد.

عن صحيفة الاهرام

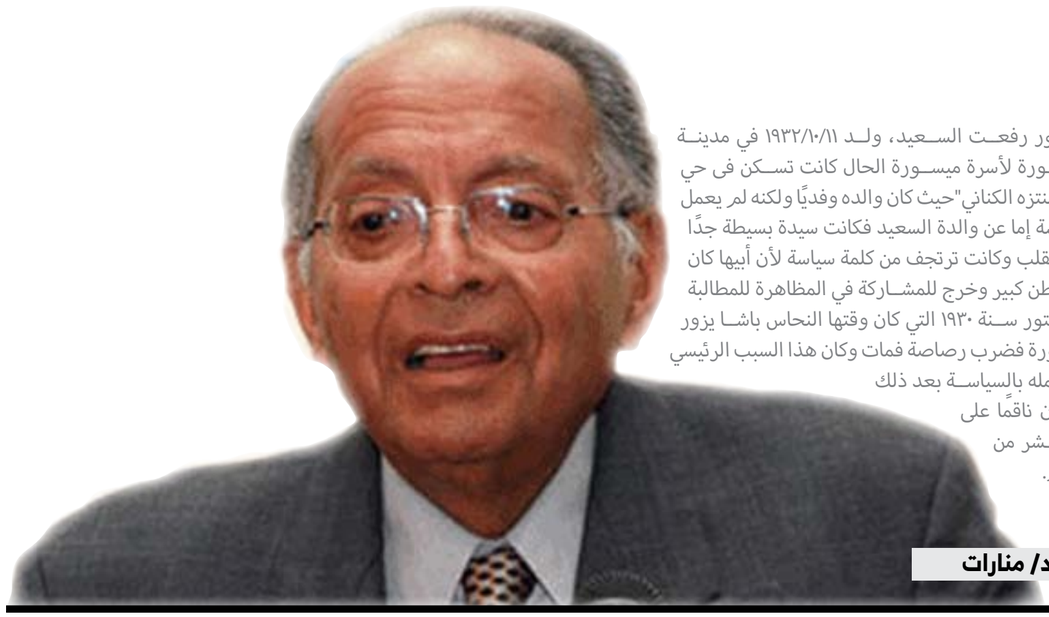

الدكتور رفعت السعيد، ولد ١٩٣٢/١٠/١١ في مدينة المنصورة لأسرة ميسورة الحال كانت تسكن فى حي أسمه"منتزه الكناني"حيث كان والده وفديًا ولكنه لم يعمل بالسياسة إما عن والدة السعيد فكانت سيدة بسيطة جدًا طيبة القلب وكانت ترتجف من كلمة سياسة لأن أبيها كان تاجر قطن كبير وخرج للمشاركة في المظاهرة للمطالبة بالدستور سنة ١٩٣٠ التي كان وقتها النحاس باشا يزور المنصورة فضرب رصاصة فمات وكان هذا السبب الرئيسي وراء عمله بالسياسة بعد ذلك لانه كان ناقمًا على كل البشر من الحكام.

اعداد/ منارات

غروب شمس اليسار المصري"..

وفي عام ١٩٤٦ كان سن السعيد وقتها ١٤ عاما وقد أنتسب الى منظمة الحركة الوطنية للتحرر الوطني وهي"مثلت الاساس السياسي لامتدادات عديده متضمنة الحزب الشيوعي المصري و كذلك حزب التجمع التقدمي الوحدوي"إلى أن أصبح السعيد من أهم رموزها بعد ذلك، واشتغل السعيد بالسياسة بالمصادفة البحتة ١٩٤٧ عندما كان عمره ١٥ سنة عندما التهبت القضية الفلسطينية في أواخر عام ٤٧ حيث بدأ تقسيم فلسطين، وبدأت تخرج المظاهرات من المدرسة ضد الكيان الصهيوني في مصر ويقودها الإخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة وارتبط اسم السعيد بالشيوعية منذ ذلك الحين.

وفي عام ١٩٤٨ دخل السعيد السجن لأول مرة وخرج أواخر تموز ١٩٥٠مع حكومة الوفد عندما قام والده بدفع رشوة لحافظ عفيفي لكي يخرج السعيد من السجن ليؤدى امتحان التوجيهية"الثانوية العامة، ودرس في تحد غريب جدا ونجح بأعجوبة ودخل بعدها كلية الحقوق، ثم نقل نشاطه السياسي إلى القاهرة، وعمل بانتظام وأصبح زعيمًا مسؤولًا عن جامعة عين شمس، وكان أسمها وقتها"جامعة إبراهيم باشا الكبير"وكان مسؤول طلابها،، أصبح معلما كبيرا بعد أن كان في هيئة المكتب القيادية الخاصة برابطة الطلاب الشيوعيين.

وبالرغم من المراقبة التي كانت مفروضة عليه بعد خروجه من السجن استطاع كسرها، بسبب تصميم رفاقه على مواصلة المسيرة التي بدؤها سويا يمكن أن"السكن في الأدوار العليا"

ثم بعدها تم قبض على السعيد مرة أخرى، وذهب إلى المحكمة العسكرية العليا برئاسة الفريق هلال عبد الله هلال، وأخذ حكم بخمس سنوات أخرى سجن وخرجت فى إبريلٍ ١٩٦٤وكان ٣٢ سنة وهو ما يزال طالباً في العام الثاني من كلية الحقوق وتكون لدى"السعيد"عقدة لان كل زملائه تخرجوا وأصبحوا وكلاء نيابة فصمم السعيد على تكملة دراسته وعمل بأخبار اليوم وواصل دراسته حتى أخذ دبلوم قانون دولي، وأخذ دبلوم اقتصاد ولكنه لم يستطع تسجيل رسالة الدكتوراه بسبب عبد الناصر لأنها كانت بعنوان"الآثار المقيدة للحرية في دستور ٢٣ وما تلاه من دساتير".

ولرفعت السعيد وجه فكري وأدبي متواز مع وجهه السياسي، فقد عمل على التأريخ للحركة الشيوعية المصرية خصوصا ما كان منها متعلقا بحركة حدتو ومؤسسها اليهودي المصري هنري كورييل، ومن أبرز كتبه"تاريخ الحركة الشيوعية المصرية (١٩٠٠-١٩٤٩) وهو ثلاث مجلدات، وكذلك توثيقه لمقتل المناضل الشيوعي شهدي عطية الشافعي في كتابه"الجريمة -وثائق عملية اغتيال شهدي عطية الشافعي"، كما كتب السعيد مذكراته في جزءين بعنوان"مجرد ذكريات"، ليسرد فيها تاريخه الشخصي المختلط بالعام، ومرات اعتقاله المديدة، ويعرّف فيها بأبرز الشخصيات اليسارية التي التقاها طوال حياته الحافلة داخل مصر وخارجها.

ولرفعت السعيد نصيب من الأدب أيضا كما في روايته"السكن في الأدوار العليا"الصادرة سنة ١٩٧٩.

وعرف عن السعيد أيضا معارضته الصلبة لجماعة الإخوان المسلمين وأفكارها، وعبر عن ذلك في العديد من الكتب ومئات المقالات عبر زاويته الأسبوعية في جريدة الأهالي، واتهم السعيد جماعة الإخوان بإفساد الحياة السياسية المصرية بسبب لجوئها إلى العنف منذ تأسيسها في النصف الأول من القرن العشرين، وعدائها لمكونات اجتماعية أصيلة في المجتمع الأصلي.

وتدرج"السعيد"فى عدد كبير من المناصب حيث شغل منصب نائب سابق فى مجلس الشورى السابق، وحصل على شهادة الدكتوراه في تاريخ الحركة الشيوعية من ألمانيا، وهو من الأسماء التي برزت في الحركة الشيوعية المصرية.

وعُرف عن"السعيد"بمعارضته الدائمة لجميع نُظم الحكم فى مصر، ولكنه أيضاً اتهم بالمهادنة في عهد نظام مبارك ولاحقته الاتهامات

حصل الراحل، على شهادة الدكتوراه في تاريخ الحركة الشيوعية من ألمانيا، وكان نائب سابق في مجلس الشورى المصري، وهو من الأسماء البارزة في الحركة الشيوعية المصرية منذ أربعينيات القرن العشرين وحتى نهاية السبعينات.

اعتقل مرات عديدة، كما اعتقل سنة ١٩٧٨ بعد كتابته مقالًا موجهاً إلى جيهان السادات زوجة الرئيس المصري محمد أنور السادات بعنوان «يا زوجات رؤساء الجمهورية اتحدن»، ومعروف بمعارضته للرؤساء الذين حكموا مصر.

ومن معارضة السادات إلى اتهامات بمهادنة نظام حسني مبارك، صارت صورة «السعيد"في عيون كثير من اليساريين، خاصة بعد تعيينه في مجلس الشورى.

يعتبر السعيد من أشد المعارضين لجماعة الإخوان المسلمين، وله العديد من المؤلفات النقدية لحركات الإسلام السياسي، مثل «حسن البنا: متى؟.. كيف؟.. لماذا؟"و(ضد التأسلم(.ويعتقد السعيد أن جماعة الإخوان كانت سببا في خروج اليسار المصري من العملية السياسية نتيجة لما يعتبره قيامها بخلط الدين بالسياسية.

تاريخ طويل للسياسي البارز رفعت السعيد، لم تكفيه سطور للحديث عليه، ويحتاج إلى مذكرات تكتب فيها عن تاريخ أحد أبرز القادة السياسيين في مصر، ويظل تاريخه محفوراً بين الجميع سواء معارضيه أو مؤيديه.

رحل الدكتورٍ رفعت السعيد، تاركًا وراءه عدداً كبيراً من الكتب والمقالات، التي حاول من خلالها تفسير ما يحدث على الساحة السياسية والاجتماعية، وهي عبارة عن شهادته التاريخية، والمحطات التي حضرها.

أول كتاب أصدره السعيد، كان بعنوان «ثلاثة لبنانين في القاهرة»، صدر في عام ١٩٧٣، تحدث فيه عن ثلاثة «مناضلين» وهبوا حياتهم، بحسب وصفه، دفاعا عن الاشتراكية، ومحاولة لتأمل دور المفكرين اللبنانيين في تكوين وتطوير الفكر الاشتراكي في مصر عبر عدة مراحل.

تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر

كتاب آخر لـ«السعيد"صدر في عام ١٩٨٠، وهو الكتاب الذي عمد فيه المناضل اليساري، إلى تشريح الحركة الاشتراكية، وتواجدها في مصر في أوقات الاحتلال، وعلاقته بالوضع الاقتصادي، وظهرت الطبقة العاملة التي تأثرت بمفاهيم العمالة الغربية في مصر.

الصحافة اليسارية في مصر

وفي العام ١٩٨٠، أصدر الدكتور رفعت كتابًا حمل عنوان: «الصحافة اليسارية في مصر»، ثم جاء الدور على جماعة الإخوان، ليصدر المناضل اليساري، كتابًا ينتقد فيه الجماعة، ويفند فيه مزاعمها، حمل اسم: «حسن البنا متى كيف لماذا؟»، والذي صدر في عام ١٩٩٧.

ضد التأسلم

كتابًا آخر أصدره رفعت إسماعيل في عام ١٩٩٨، حمل اسم «ضد التأسلم»، حيث واصل فيه المناضل حربه على المتاجرين باسم الدين، وجماعة الإخوان المسلمين، ثم أصدر في عام ٢٠٠٠ كتابًا آخر حمل اسم «تأملات.. في الناصرية» وفي هذا الكتاب حاول «السعيد"شرح وتحليل الناصرية والتكوين الاجتماعي لحركة الضباط الأحرار، وما تلا ذلك من ثورة ٢٣ يوليو.

مجرد ذكريات

وفي بداية الألفية الجديد أصدر كتابا حمل عنوان كتاب «مجرد ذكريات»، ثم كتاب «السكن في الأدوار العليا و.. البصقة»، وبعد صدور هذين الكتابين، بعامين، حان الدور على كتاب: «عمائم ليبرالية.. في ساحة العقل والحرية»، ليخرج إلى النور.

مقاربات مع ثلاثة رؤساء ومشير

واختتم «السعيد"مسيرته بكتاب حمل اسم: «مقاربات مع ثلاثة رؤساء ومشير»، كشف فيه عن العديد من الكواليس التي دارت بينه وبين رؤساء مصر السابقون، بالإضافة إلى تفاصيل ما دار في المطبخ السياسي في فترة ما بعد ثورة ٢٥ يناير.

http://www.almadapaper.net - E-mail: almada@almadapaper.net

يعد المفكر والسياسي المصري د. رفعت السعيد أحد رموز اليسار العربي، اشتهر السعيد بكتاباته الفكرية التقدمية، وكتبه التي ناقشت ورصدت الحركات السياسية في مصر، إضافة إلى دوره القيادي في حـزب التجمـع، حيث يشـغل منصب «رئيس المجلس الاستشاري» له.

وهناك ملمح ثقافي لا يعرفه الكثيرون، وهـو الملمح الأدبي في تجربة صاحب كتـاب «مجـرد ذكريات»، هـذا الكتاب الذي يعد من أبرز كتب السـيرة الذاتية التي صدرت خلال الثلاثين عاماً الماضية، وهي كتابة يصفها السعيد قائلاً: «تتحدد ملامح ما أنا مقـدم عليه من كتابة، فهي لوحـات غـير متلاحقة، وهـي تحمل أو تحتمل فقط رؤيـتي أنا.. للواقعة، وعلى القـارئ، إن وجـد في ذلـك ضروريـاً، أن يبذل بعضـاً من الجهـد، إذا ما أراد التعرف إلى الكاتب، أن يعمل خياله حتى يضم الصـور إلى بعضها بعضا، ويكمل مـن عنده مـا يكمل الصـورة، ولوحات السيراميك في يد الفنان أدوات تشكيل.. وهـي كذلك في يد القـارئ فبإمكانه أن يتعرف إليها قطعة قطعة أو ينثرها كلها أو بعضها ليعيد تشـكيل رؤيـة للكاتب وتقويمه لما كتب.

د.رفعت السـعيد: تعلمت في السجن كتابة الرواية

عيد عبد الحليم

يقول رفعت السعيد: عانيت في حياتي من ثلاثة أنواع من الكتابة، كتابة التاريخ، والكتابة السياسية، ومحاولات يتيمة لكتابة الرواية، ثم كانت كتابة السيرة معاناة أخرى، وعن ذلك يقول: «أنت مجبر على الحديث عن نفسك، وهو أكثر ما تباعدت عنه دوماً، ليس تمنعاً أو ترفعاً، لكن خوفاً من أن أنحاز أو أتحيز أو أتجاوز أو حتى أنسى حق الآخرين، وعندما كتبت المجلدات الخمسة لتاريخ الحركة الشيوعية المصرية «أربعة آلاف وخمسمئة صفحة» حاذرت وتعمدت ألّا يرد اسمي في أي منها، تعمدت الغياب غياباً أخل بالصورة أحياناً، وتعمدت تناسي أشخاص لعبوا أدواراً مهمة، وذنبهم أنهم شاركوني أو زاملوني في هذا الفعل.

يوضح: «كنت أكتب منحازاً فقط ضد نفسي، ومتجاهلاً إياها، ومحاذراً من أن أصبح مثل هؤلاء الذين كتبوا ما أسموه تاريخ الحركة الشيوعية، فجاء الأمر تأريخاً لأنفسهم، وجعلوا من ذواتهم فرساناً لكل حدث، ولكل حديث».

ما يشير إليه د. رفعت السعيد هو الدور المنوط بالمؤرخ، حيث المصداقية في نقل الأحداث والوقائع، لكن الأمر يختلف في الكتابة الإبداعية التي أنجز فيها أربعة أعمال هي «السكن في الأدوار العليا» و«البصقة" و«رمال" و«مع حكايات الحكايات»، وكل عمل من هذه الأعمال يحمل حكايته الخاصة، وكل حكاية مملوءة بالتفاصيل والأحداث.

عن روايته الأولى: «السكن في الأدوار العليا»، يقول: «إذا كان البعض قد فوجئ بصدور هذه الرواية، فقد كنت أنا أولهم، فلم يخطر ببالي أبداً أن أفعلها، فقد تصورت أنه يكفيني أنني عانيت نوعين من الكتابة، كتابة التاريخ، وهي تعتمد على ملاحقة الحقيقة حتى إذا اكتفيت وضعتها أمام عقلي وبصري، لأكتب محاولاً دون جدوى أن أكون محايداً، فالحياد في كتابة التاريخ يستحيل سراباً، وأقصى ما تستطيعه الكتابة التاريخية ألّا تكون منحازة، لكن الحقائق التاريخية تفرض على المؤرخ أو كاتب التأريخ حصاراً لا فكاك منه، إن أراد لكتابته أن تكون عملية أو أكاديمية.

أمّا الكتابة السياسية فهي المعاناة الأخرى، وإذا كانت كتابتك في التاريخ تعتصر كل ما لديك من معلومات وتفرض عليك أن تضعها في اصطفاف مقروء ومقبول، فإن الكتابة في السياسة تحرمك من نصف الحقيقة، الأحداث تصنع كتابتها، هذا ينطبق تماماً على رواية «السكن في الأدوار العليا» التي كتبت في فترة أحداث يناير/كانون الثاني ١٩٧٧، حيث تم اعتقالي ضمن حملة استهدفت قادة المعارضة وبعض المثقفين.

ولدت فكرة الرواية في السجن، وعلى حد تعبيره: «فجأة مرق سهم مضيء جعلني أتساءل لماذا لا أكتب شيئا؟ وقررت أن أكتب رواية أو بالدقة حكاية. وراودتني مجموعة من الأسئلة أين أكتب؟ وكيف؟" وكان الرد جنونيا، أسجلها شفويا.. أختزن الوقائع والحكايات وأصوغها وأعيد صياغتها وأرتبها وأعيد ترتيبها، لكن الأمر تحول إلى حالة تشبه الإدمان، أن أكمل الرواية، أتقنها، أعيد صياغتها حرفاً حرفاً، مرات عديدة، الساعات لم تعد تكفي، وإعادة الصياغة أرهقتني، وأخيراً اكتملت الرواية وراجعتها في ذاكرتي عشرات المرات، فصلاً فصلاً وسطراً سطراً في كل يوم أراجعها وأعدلها، ثم كان قرار الإفراج، إلى البيت عدت وبعد السلامات والتحيات وقبلات الأم والزوجة والأولاد والأخوات، بدأ هذا المولود الكامن في عمق الذاكرة يتمرد، أنا لم أستطع المقاومة، وجلست وشربت كوباً كبيراً من القهوة أغلقت غرفة المكتب وأطلقت كلمات الذاكرة، كما كانت صياغتها الأخيرة، وفي ست ساعات كانت الرواية مخطوطاً مكتملاً<<.

يضيف د. السعيد: تأملتها، قررت أن أمزقها، مالي أنا وكتابة الرواية؟، هل أستثير ضحك الناس عليّ بهذه الكتابة؟، لكنني خشيت إن أنا مزقتها أن تعاودني حالة الولادة من جديد، المهم كان يزورني صديق عزيز هو المرحوم عبد الله حوراني، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية «مسؤول الثقافة»، وفي مظروف مغلق كانت الرواية وسلمتها له راجياً وملحاً ألّا يفتحها حتى أطلب منه ذلك، وسافر الرجل إلى بيروت حيث يقيم، أسبوعين فقط وصلني مظروف مع قادم من بيروت وكانت الرواية مطبوعة.

فرحت لا أنكر ذلك، وعندما عاتبته ضحك، وقال: وأنا في الطائرة تأملت المظروف، وسألت هل هذه كلها وصية؟ وفتحت المظروف وقرأتها وأعجبتني وسلمت المخطوط للمبدعة غادة السمان، هي وزوجها بشير الداعوق، صديقين عزيزين لي ولعبد الله حوراني، قالت غادة: ننشر فورا.

يشير د. رفعت السعيد إلى محاولة المنتج السينمائي»حسين القلا«تحويل الرواية إلى فيلم سينمائي من إخراج حسين كمال، لكن التجربة لم تتم لأسباب فنية وإنتاجية. يقول: مضى وقت طويل حتى التقيت مصادفة حسين القلا وسألته فقال معتذراً «أنا كنت ناوي أعمل سلسلة أفلام وعرفت إن صلاح أبو سيف ناوي يتفق مع عدد من الكتاب أنت منهم فتعاقدت معكم حتى لا يسبقني وأنا الآن متردد.. وتذكرت أن صلاح أبو سيف كان في اجتماع للفنانين خلال مهرجان نظمه في التجمع عنوانه «مهرجان السينما الممنوعة" وأنه انتحى بي طالبا التعاقد حول الرواية واعتذرت لسبق تعاقدي مع القلا فضحك قائلاً: هو بيحاصرني».

يرى د. رفعت السعيد أن الكتابة كانت بديلاً عن الألم والقسوة، وظلام السجن، والمعتقل السياسي، وعن ذلك يقول: «كنا في زمن السادات شديد التوتر بعد الانتفاضة التي أسماها انتفاضة الحرامية، وكان التصور السائد عند الرئيس أنني من دبر مظاهرات ١٩٧٧ أو هكذا أراد أن يجرى تصوير الأمر.. ووصل الأمر أن جريدة الجمهورية صدرت بمانشيت أحمر رئيسي هو اكتشاف مدبر انتفاضة الحرامية.. القبض على رفعت السعيد».

حدث ذلك وأنا حر طليق، ولكن المساء أتى ومعه القبض عليّ، ومع كامب ديفيد ومعارضة حزب التجمع منفرداً لزيارة القدس ساد تعاطف شديد في الأوساط العربية المعارضة للزيارة وما تلاها من نتائج مع الوحيدين في مصر الذين امتلكوا شجاعة المواجهة.. وهم قادة حزب التجمع ونالني بعض من تعاطف الكثيرين وكانت حملة ترويج لرواية «السكن في الأدوار العليا» أحد مظاهر هذا التعاطف الذي أقر وأعترف أنه كان مبالغاً فيه لأسباب سياسية، ووصل الأمر أن أصدر رئيس اتحاد الكتاب الفلسطيني وقتها «يحيى يخلف» كتاباً بضعف حجم الرواية يناقشها ويحللها وبالدقة يأخذها مأخذ الجد، ويعاملها على أنها عمل فني يقول إنه ممتاز ويحلل شخوصه بما لم يخطر على بالي.

يحكي د. السعيد عن الأجواء التي رافقت كتابة روايته الأولى، حيث الصمت الذي يلف السجن فالصحف ممنوعة، والكتب ممنوعة. ومن قلب هذه العتمة كانت الكتابة هي الخلاص يقول: «أقمت صداقة مع النمل، فتات صغيرة جداً من لباب الخبز يستدرجه وأتابعه وأكاد أتعرف إلى أفراده، كنت مستلقياً على السرير وفجأة قررت أن أهزم السجن والسجان.

اكتشفت فيما كنت ممدداً على السرير النقوش على الحوائط، السجناء كل منهم ترك نقوشاً.. إنهم أحفاد الفراعنة يسجلون وجودهم نقشا. الملعقة هي الأداة الوحيدة المسموح بها ولا يمكن منعها، وبها نقش الجميع ما يثبت مرورهم.. ومن هذه النقوش «كل هم يزول» شكري مصطفى و«هذه وصيتي أرجو من يراها يبلغها لأهلي»، عمال السكة الحديد رمز النضال العمالي والإضراب حق مشروع»، «أحمد فؤاد نجم «ولا يهمك» شهرت العالم «إذا كنت أنا قد احتملت فلابد أنك ستحتمل».

أما الرواية الثانية «البصقة"فقد كتبت أيضاً في سجن القلعة يقول د. رفعت السعيد: «في ذات الزنزانة، كل شيء كما كان قبل عامين أو أقل قليلاً، التغيير الوحيد أن اللمبة الضخمة المعلقة قرب السقف اختفت وحل محلها ضيف ثقيل الظل، ففي سقف الزنزانة فتحة مغطاة بقضبان حديدية وعسكري مسكين مكلف بأن يظل منحنيا ليرى ماذا أفعل.. ولكن ماذا يمكن أن أفعل؟ أجاب أحد الضباط «أهي غلاسة والسلام، أمال يعني عايزنا نسيبك كده؟» أما أنا فقد اكتشفت مساحة صغيرة في أحد الأركان لا يراها العسكري المسكين فبدأ يصرخ: أنت فين يا مسجون، ولم أجبه فصرخ بأعلى صوته «انتباه" وأقلق صراخه المأمور ومن حوله.. ثم اكتشفوا الحيلة.. وكانت لعبة مسلية.. يوم أو يومان فتحت دفاتر ذاكرتي وأمسكت بقلم إرادتي بهزيمة السجن والسجان وبدأت الكتابة مرة أخرى في ذاكرتي، رواية حاولت أن أنسج منها خيطاً ينتقم من حماقة الملفقين.

لم أكن متعجلاً هذه المرة لكتابة ما تحفظت عليه في ذاكرتي، ولعلي نجحت في أن أتناسى دفتر الذاكرة لعدة أشهر، وفجأة فعلت ذات الشيء، كوب القهوة، المكتب المغلق، ثم خمس أو ست ساعات كتابة. ثم حملت الرواية بنفسي إلى رفاق الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في دار ابن خلدون ببيروت.

أما رواية «رمال"فكتبت خارج الزنزانة، حيث تحولت من مقال صحفي كان د. السعيد ينوي كتابته إلى رواية بأحداثها وشخصياتها المتعددة، حول التحولات السياسية والاجتماعية والعاصفة، والتلونات السياسية بغرض البحث عن مكاسب شخصية، يقول: كانت «رمال"فيها كالمعتاد رحيق من ذاكرة قديمة عشتها في المنصورة، ورغم ذلك المثلث من الروايات أقرر وبصدق أنني لا أعتبر هذا النوع من الكتابة بالنسبة لي احترافا ولا حتى هواية لكنها في أفضل الأحوال غواية.

وتمتلئ أعمال السعيد بصيغ شعرية لافتة رغم واقعية الأحداث من هذه العبارات الموحية قوله تحت عنوان «المساء الأخير»: «عندما ترفع الغطاء عن ذكرياتك، فإنك دون أن تدري تحفر لها المجرى الذي تنساب نحوه، بل وتنتقي لها ذلك النوع من الذكريات الذي تختاره، إنها الذاكرة المشاكسة التي تستحضر الماضي لتناقشه وتحاوره للوصول إلى صيغة جمالية، من خلال أحداث تحركها شخصيات هامشية لها تاريخها الخاص الذي لا يهم أحد سواها، شخصيات مملوءة بالوجع والحلم، وتطمح أيضاً إلى تحقيق الآمال المؤجلة».

هكذا تدور أعمال الكاتب السياسي الأدبية في عالم المهمشين والبسطاء. وفي منطقة المواجهة أيضاً، لأنه يعتبر الكتابة فعل مواجهة من الدرجة الأولى، وهناك مشروع آخر مواز للتجارب الإبداعية، وهي مشروعه كمؤرخ، وهكذا تتعدد جوانب ومجالات الدراسات التاريخية لرفعت السعيد، لكنها ترتبط بالهم الوطني والواقع المعاش.

عن الحوار المتمدن

رفعت السعيد.. الشخصية الاستثنائية

سامح فوزي

فى صيف عام ٢٠٠١م، بينما كنت أدرس الماجستير فى جامعة «ساسكس"فى بريطانيا جاءت لزيارة الجامعة طالبة مصرية من جامعة أخرى قدمها لى صديق هو الدكتور أيمن زهرى الذى كان يستعد للانتهاء وقتها من الدكتوراه فى موضوع شيق عن هجرة أهل الصعيد إلى القاهرة. قدمها لى باسميها الأول والثانى «غادة رفعت». تجاذبنا أطراف حوار طويل، وأبديت خلاله العديد من الملاحظات النقدية على اليسار، بينما صديقى يحاول جاهدا أن يصرفنى إلى موضوع آخر. انتهى اللقاء، طلبنا منها أن تظل معنا إلى العشاء، فاعتذرت بأن طريق عودتها طويل. بعد قليل عاد صديقى لى معاتبا: هل تعرف من هذه الزميلة؟ إنها ابنة الدكتور رفعت السعيد. فابتسمت، وقلت له كان من الضرورى أن تلفت انتباهى، ولاسيما أنى أعتز بمعرفة والدها التى بدأت صلتى به منذ بدء عملى فى البحث والصحافة. مرت شهور، وعدت إلى القاهرة بعد انتهاء الدراسة، وما أن التقيت الدكتور رفعت السعيد حتى بادرنى مبتسما: قل لى إيه اللى مش عجبك فى اليسار؟

الدكتور رفعت السعيد شخصية استثنائية، جمع بين نقيضين، العمل السياسى «اللعب فى مساحات الممكن" والعمل الاكاديمى «السعى إلى ما يجب أن يكون». بالطبع كان شخصية خلافية، له من أحبه، وهناك من اختلف معه، لكنه ظل رقما مهما فى السياسة المصرية، وفى الحركة اليسارية يصعب تجاوزه. واسع فى خبراته، غزير فى كتاباته، التى كانت متنوعة، ما بين التأريخ، والاشتباك السياسى، والسيرة الذاتية، والملاحظات الخاصة. قلمه ممتع، لغته أدبية سلسة، لم تعرف خشونة الصياغات الاكاديمية، متحررة، منطلقة، تجمع بين العمق والبساطة، البحث والصحافة، وهو ما يكشف عمق الشخصية التى نتحدث عنها.

تسمع منه الكثير عندما تجلس معه، وتكتشف الكثير عن إدارة الشأن العام، وبالأخص دولاب الدولة، وهو من مميزاته أنه كان متشعبا فى علاقاته، لم تحجبه ستار الايديولوجية عن الانفتاح على بعض رجال الأعمال، والحكومة التى يعارضها، ولاسيما أن أحد المجالات الأساسية التى شغلته كانت المواطنة ومواجهة التطرف، وهى قضية مهمة يتلاقى عليها دعاة التسامح أيا كان موقعهم السياسى، ويشعرون أنها تتعلق بمستقبل البلد، أكثر من ارتباطها بفريق سياسى.

أعتاد أن يقضى بعضا من وقته فى مقاهى الإسكندرية مساء عندما يفرغ من نشاط له فى مكتبة الإسكندرية. بسيط، غير متكلف، يجلس إلى جواره محبوه المحامى الوفدى اللامع عصام شيحة، وثالثهم سمير زكى المهتم بالعمل العام، وعدد آخر من الأصدقاء، وكنت ألحق شطرا من الحوار بعد انتهاء عملى. خبراته كثيرة، وحكاياته لا تمل منها، وعادة ما كان يداهمنا منتصف الليل دون أن نشعر.

منذ شهرين التقيته فى مكتبه بحزب التجمع بعد اتصال منه لإهدائى آخر كتبه، أعقبه حضوره ندوة فى مكتبة الإسكندرية فى منتصف يوليو، على أمل فى لقاء آخر فى منتصف سبتمبر، وصلته الدعوة، وأجرى اتصالا بصديقه الوفدى عصام شيحة الذى أعتاد أن يصحبه إلى الإسكندرية، لكن الموعد لم يتم، فقد رحل فى صمت، رغم أنه كان من أكثر الشخصيات رفضا له، وجعله عنوانا لكتبه (للصمت...لا).

عن جريدة الشروق

رفعت السـعيد.. أديبا!

د. عمرو عبد السميع

فى يدى نص عجيب جمع بين دفتيه الأعمال الأدبية للدكتور رفعت السعيد القطب اليسارى البارز والكادر الأكاديمى المعروف.

د.رفعت السعيد..الأعمال الأدبية.. السكن فى الأدوار العليا..البصقة.. رمال.

ومبعث استعجابى أمران، أحدهما أن شخصا بحجم الدكتور رفعت ستكثر أن يسمى ما كتبه (روايات) ولكنه اسماه (حكايات)، وهذا- الحقيقة- ما رأيته محاولة لمصادرة أو اعتقال قدرتنا على طرح رؤيتنا النقدية للنص فى الإطار الذى ينطبق عليه بالفعل، وبالتالى فإننى (قولا واحدا فصلا) أقول: ما كتبه رفعت السعيد فى سطور ذلك الكتاب هو: (روايات) استوفت غالبية عناصر الرواية فى صيغتها وتركيبها الفني، لابل إن السرد والوصف، وتقاطع الحوار الداخلى للكاتب مع حوارات الأبطال استكملوا بناء روائيا مميزا جدا.

والأمر الثانى الذى استلفتنى فى روايات (حكايات) د.رفعت السعيد كان ذلك الشكل المبتكر جدا الذى قدم فيه الرجل (حكيا فى الحكي) أو ما سماه حكاية كل حكاية، وحتى تلك التقدمات التى قصد كاتبها أن تكون مبررا يطرحه على الناس (لاقترافه) كتابة الرواية، فإنها- فى ذاتها- تعد روايات كذلك، لابل ولو فكر الرجل فى جمعها ضمن عمل واحد لصارت رواية، على أن يخلصها من وجه التأريخ الذاتى ويحول بطلها (المسجون الذى يكتب رواية فى كل مرة يدخل فيها إلى السجن) إلى بطل روائى يبدو من خيال كاتبه وإن كان حقيقيا، كما معظم وقائع تلك الروايات الثلاث.

وبالإضافة فإن رفعت السعيد فى رواية (البصقة) لم يكتب (رواية فى الرواية) فقط، ولكنه كتب (رواية فى رواية فى رواية) حين نشر نص قصة (حب وحب) لمدحت سلام (بطل تلك الرواية)!!

عاش د.رفعت بيننا لعقود ونحن نتعامل معه بوصفه كادرا سياسيا يطرح رأيه بجسارة وجرأة يدفع ثمنها غاليا من حريته وقطع استرسال مسيرته العلمية والسياسية، فلم ننتبه- فى الواقع- إلى وزن الرجل (أدبيا)، ربما لو منحته الظروف فرصة ليترجم ذلك الكم الزاخر من تجاربه إلى أعمال إبداعية لصار واحدا من أشهر الأدباء، ولتوقف عن الخجل من أنه يكتب (رواية) مناديا سطوره باسم الدلع: (حكاية)!!

عن صحيفة الاهرام

رفعت السعيد وأزمة اليسار

د.جمال عبد الجواد

لم أفاجأ بردة فعل الإخوان ومن على شاكلتهم إزاء وفاة الدكتور رفعت السعيد، لكن ما فاجأني فعلا هو مشاعر الشماتة التى عبر عنها شبان من النشطاء الثوريين المنتسبين لثورة الخامس والعشرين من يناير. فرفعت السعيد فى النهاية هو أحد أهم القادة المعاصرين لليسار المصرى الذى رفع راية الثورة والاشتراكية طوال عقود، وهو التيار الذى يمثل أحد الروافد التاريخية لحركة الشبان الثوريين، حتى وإن أنكر هؤلاء هذه الصلة.

لعب رفعت السعيد دورا قياديا بارزا فى حزب التجمع الوطني، أهم حزب لليسار المصرى فى النصف الثانى من القرن العشرين. كانت أفكار ومواقف رفعت السعيد شديدة الأهمية فى صياغة الخط السياسى العام للحزب، وفى صناعة المواقف التى اتخذها الحزب فى منعطفات عديدة، ولهذا فإن الكثيرين من بين النشطاء الثوريين يحملون الرجل جزءا كبيرا من المسئولية عن التراجع الراهن لليسار المصري.

تبنى رفعت السعيد الماركسية اللينينية مذهبا سياسيا منذ أربعينيات القرن الماضي، لكن تطورات الأحداث بينت الصعوبات البالغة التى تمنع شجرة اليسار من طرح ثمارها فى بلاد الشرق. أدرك رفعت السعيد هذه الصعوبة مبكرا، ورسم لليسار دورا يتلاءم مع تعقيدات الواقع. اليسار كجماعة ضغط وليس كحزب سياسي، هذا هو التصور الذى طوره رفعت السعيد. ظل رفعت السعيد نشيطا ومخلصا لحزب التجمع الوطنى اليساري، إلا أنه أدرك مبكرا أن حزبه لم يعد هو حزب الطبقات الشعبية الجماهيرى الذى سعى لبنائه، ولكنه تحول إلى ناد للنخب المثقفة من اليساريين، فتصرف على هذا الأساس دون أوهام.

الحزب السياسى يسعى للوصول إلى السلطة، وهو ما لا تستطيعه جماعات الضغط ونوادى النخبة. أدرك رفعت السعيد هذه الحقيقة مبكرا، وكف عن مزاحمة أهل السلطة، لكنه واصل الضغط عليهم، فحول التجمع إلى أداة ضغط على النخبة الحاكمة من أجل تخفيف الضغوط الاقتصادية عن الطبقات الفقيرة، ومن أجل مقاومة التيارات الإسلامية المحافظة. أدرك السعيد أن الصراع على السلطة فى مصر هو حكر على من يملكون ما يحتاجه هذا الأمر الجلل، وأن على النخب اليسارية أن تنحاز فى هذا الصراع للجانب الأقرب لأفكار وقيم اليسار عن العلمانية والحرية، حتى وإن اختلفوا معه فى قضايا عديدة أخرى. اختار رفعت السعيد الانحياز للدولة الوطنية فى مواجهة خصومها الإسلاميين، الأمر الذى كان سببا فى إثارة انتقادات الشبان الثوريين.

الشبان الثوريون هم طيف واسع من النشطاء مختلفى المشارب. بعض هؤلاء الشبان يعتبر نفسه ليبراليا، فيما ينتمى القسم الأكبر منهم لتيارات يسارية متنوعة. الصراع الأيديولوجى التقليدى بين اليسار والليبراليين لا يشغل هؤلاء الشبان كثيرا، فمساحات الاتفاق بين الطبعات الحديثة من فرق اليسار والليبراليين أكبر كثيرا من مساحات الاختلاف. يستند هذا الهجين الليبرالي- اليساري، أو الليبريساري، إلى بنية فكرية تعطى أولوية مطلقة لقيمة الحرية، سواء كنا نتحدث عن الحريات الفردية أو الحريات العامة والسياسية، ويرتبط بهذا رفض عميق لكل أشكال السلطة، والتى يعتبرها الشبان الثوريون قيدا على الحرية. يبدأ هذا الرفض بالسلطة السياسية وأجهزتها الأمنية والمسلحة، ويمر بالسلطات الدينية بأشكالها المختلفة، وقد يصل إلى العائلة باعتبارها مسقط رأس والموطن الطبيعى للاستبداد الأبوي.

أن تكون يساريا أوليبراليا ليس بالأمر المهم فى عرف هؤلاء الشبان، ولكن المهم هو أن ترفض السلطة، وأن تكون ثوريا فى طريقة رفضك لها. مفهوم الثورة لدى الشبان الثوريين يختلف عنه لدى جيل رفعت السعيد، حين كانت الثورة طريقة أو أداة لتحقيق أهداف معينة. الثورة بالنسبة للشبان الثوريين هى الأداة وهى أيضا الهدف. فالثورة المستمرة هى الأداة الفعالة لتحرير الفرد من قيود الدولة والدين والمجتمع والثقافة والعائلة. ايديولوجية الشبان الثوريين فيها شبه بالأفكار التى طورها فرانز فانون أثناء مرحلة التحرر من الاستعمار. ركز فانون على أهمية العنف، ليس فقط باعتباره أداة لإنهاء الاحتلال والسيطرة الاستعمارية ولكن الأهم من ذلك باعتباره اداة لتحرير شعوب المستعمرات من مشاعر الدونية ازاء ثقافة المستعمر، ومن الشعور بالانسحاق إزاء تفوقه. التحق فانون بصفوف الثوار الجزائريين، ومن العنف الذى ميز الثورة الجزائرية استلهم فانون فلسفته. بعد أكثر من خمسين عاما من انتصار الثورة الجزائرية يمكننا أن نحكم على مدى نجاعة أفكار فانون. لكن أيا كان رأينا فإن هذا لم يمنع ظهور أيديولوجيات مشابهة تركز على الأثر التحريرى للفعل الثوري.

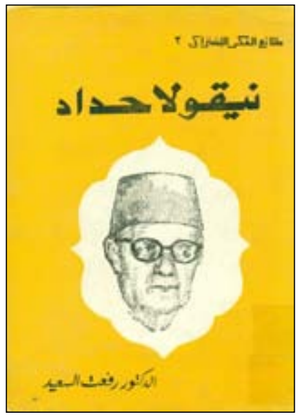

بينما أنتج جيل رفعت السعيد من الثوريين المصريين مئات الكتب والوثائق التى تشرح أفكارهم، فإنه يصعب العثور على وثائق وكتابات تعبر بوضوح عن أفكار جيل الشبان الثوريين، الذى تجد أفكاره متناثرة بين عدد من الأعمال، يغلب على كثير منها الطابع الأدبي.

المصدر الأهم للتعرف على توجهات وأفكار الشبان الثوريين تجده فى الممارسة السياسية التى خاضوا غمارها، خاصة أثناء ثورة يناير، وهى الأفكار التى تتلخص فى العمل المباشر، والتحريض والتعبئة، وسياسات الشارع، ورفض التنظيمات التراتبية، والمساواة الكاملة بديلا عن علاقات القائد والأتباع، وهى الأفكار التى يحملها كثيرون مسئولية إفشال ثورة يناير. المؤكد أن المواقع التى شغلها رفعت السعيد تجعله مسئولا عن قرارات كثيرة تم اتخاذها، لكن هل كان يمكن لأى قرارات اتخذها رفعت السعيد أن تجنب اليسار المصرى أزمته المزمنة، أم أن الأزمة الممتدة لليسار ناتجة عن ظروف موضوعية فى مصر والعالم. فرفعت السعيد لم يكن هو السبب فى هزيمة يونيو، أو فى انهيار الاشتراكية فى مسقط رأسها السوفيتي، ولم يكن هو المسئول عن انتصار الغرب الرأسمالى الليبرالى فى الحرب الباردة، أو عن انفجار وتشظى الاتحاد السوفيتي، كما أنه لم يكن لرفعت السعيد دور فى دخول المنطقة عصر الثروة النفطية، بكل ما جلبته هذه الثروة من تغير فى أوزان دول المنطقة، وثقافات شعوبها.

الشبان الثوريون الذين يحملون رفعت السعيد المسئولية عما جرى لليسار يبحثون عن كبش فداء يعفيهم من مشقة البحث عن الأسباب الحقيقية لأزمة اليسار، وعن تحمل نصيب من المسئولية عنها. فما أسهل الإشارة بإصبع الاتهام للآخرين، من فوق أريكة وثيرة، فوق هضبة الادعاء الأخلاقى العالية.

عن المصري اليوم

رفعت السعيد و(الفجر الجديد)

برحيل رفعت السعيد، أحد أبرز وجوه اليسار المصريّ التقليديّ، يُسلّط بعض الضوء على منظومة تفكير وسلوك لازمت تطوّر منطقتنا منذ الخمسينات. هوامش تلك المنظومة تغيّرت، لكنّ متنها لم يتغيّر من أيّامٍ «الحركة الديموقراطيّة للتحرّر الوطنيّ» (حدتو) التي كان رفعت مناضلاً شابّاً فيها إلى أيّام «حزب التجمّع الوطنيّ التقدّميّ الوحدويّ» حين صار من قياديّيه ثمّ رئيساً له.

حازم صاغية

وليس صدفة أنّ هذا اللون الفكريّ والسياسيّ الذي مثّله رفعت السعيد صار يتجسّد بشخصيّات ووجوه، بعضها سياسيٌ وبعضها ثقافيّ، لكنّه لم يعد يجد أحزاباً وقوى عريضة تعبّر عنه، وهو ما يصحّ، مع تفاوت النسب، في سائر تشكيلاته في المنطقة العربيّة.

اللون هذا يمكن وصفه بالأصوليّة العلمانيّة: نفس القطع والحسم والاستبعاد للآخر ممّا هو معروف في الأصوليّة الدينيّة. ولمّا كان الأصوليّ الدينيّ والأصوليّ العلمانيّ يتبادلان سلعة الاستبعاد نفسها، بدا الصراع بينهما قَبَليّاً لا سياسيّاً، يفتح على العنف الذي يحبّه الطرفان ولا يفتح على السياسة التي يكرهانها.

قد يقال، بكثير من الصحّة، إنّ من المنطقيّ والطبيعيّ أن يسود العداء المطلق بين حركتين إطلاقيّتين. لكنّ صحّة هذا التقدير لا تُعفي من مراجعة ظروفه وشروطه الخاصّة.

ففي ما خصّ اليسار الذي عبّر عنه رفعت وبعض مجايليه، وبعض تلامذتهم، بدا في الأمر تثبّتٌ عند حقبة معيّنة وعند فهم ما للتقدّم. ذاك أنّ «الفجر الجديد" بدا قاب قوسين، لا يعيق وصولَه إلّا حفنة من «المتخلّفين». صحيح أنّ الإسلاميّين أخافوا أولئك اليساريّين كما أخافوا الليبراليّين، إلّا أنّ الأخيرين تلكّأوا عن مهمّتين: فمن جهة، لم يستطيعوا تبيئة مصادرهم الغربيّة، ولا استطاعوا مواكبة التغيّر الذي أصاب تلك المصادر نفسها، دافعاً بها إلى الانفتاح على التعدّديّة والآخر. لقد مكث «الغرب» لديهم في لحظته العلمويّة التي لم «تتطوّر "لاحقاً إلّا في وجهة سوفياتيّة.

ومن جهة أخرى، لم يتعاطفوا مع ضحايا القهر والاضطهاد، وكان الإسلاميّون أوّل وأكثر هؤلاء الضحايا، على أيدي أنظمة عسكريّة وأمنيّة وصفها الشيوعيّون بـ «الوطنيّة"و «التقدّميّة». والسلوك هذا الذي انتهى بأصحابه إلى الوقوف في صفّ الأنظمة العسكريّة والأمنيّة، عزّزته علاقات وخرافات: ذاك أنّ العداء للاستبداد لم يكن مرّة جزءاً من «البرنامج» اليساريّ. وبسبب العلاقة التبعيّة للاتّحاد السوفياتيّ، غدت الأنظمة الصديقة لموسكو شقيقة كبرى للشيوعيّين المحليّين، فحلّ عمليّاً تمكين الاستبداد في رأس هذا «البرنامج». وحين كان يطرأ صدام مع واحد من هذه الأنظمة، على ما كانت الحال مع الناصريّة بين ١٩٥٨ و١٩٦٤، كان السبب علاقة موسكو بذاك النظام، لا تكوين هذا النظام نفسه.

وسلوك كهذا أسّس للنقص الديموقراطيّ ولتضييق رقعة السياسة في المجتمعات المعنيّة. فهذا الطرف لم يرفع مرّةً دعوةً إلى تسوية بين ضحايا الاستبداد، وفي عدادهم الإسلاميّون طبعاً، دعوةً قد تُغري الأخيرين بالمقايضة: الحضور في السياسة والحقل العامّ مقابل تكيّف مع مواقف أكثر تقدّماً في خصوص المرأة والأقليّات والدستور. ما حصل هو العكس، فأدّى الالتحاق بتلك الأنظمة إلى تمكينها في مواجهة خصومها المحرومين من حقوقهم وحرّيّاتهم.

لقد كان الاستثناء الأبرز العلاقة بـ «حزب الله" الذي تربطه بالأنظمة العسكريّة والأمنيّة، وبأيديولوجيّاتها في المقاومة، علاقة ودّ وتحالف. وهذا ناهيك بكومة من الخردة النظريّة التي تتيح إدراج حزب «الوليّ الفقيه" في ما هو «متحوّل»، لا «ثابت»، أو في ما هو «يسار الإسلام" لا «يمينه».

واليوم، لا تتجلّى خلاصة هذا المنحى كما تتجلّى في «الحرب على الإرهاب" التي كفّ أنصارها من «مناهضي الإمبرياليّة" عن الاكتراث بأسباب هذا الإرهاب، علماً أنّهم لطالما كانوا ملوك هذا السؤال ومحتكريه.

لقد دمج رفعت السعيد نشاطه السياسيّ بنشاط فكريّ وتأريخيّ عبّرت عنه كتبه ومقالاته، وكان رجلاً صادقاً في ما آمن به وهو شابّ. لكنّ مرور الزمن أبقاه على ذاك الإيمان الأوّل، لا يتزحزح عنه، فيما كل شيء كان يؤكّد الحاجة إلى تغيير القناعات الأولى. وذلك لو حصل، لأعفى راحلنا الكبير من الاضطرار إلى حماية رجال الأمن... الأمن إيّاه!

عن جريدة الحياة

manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

المدى

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني
خالد خضير

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

رحل عن عالمنا الدكتور رفعت السـعيد.. وربما فوجئ الكثيرون بالإجماع الرسمى وغير الرسـمى على قيمة الرجل ومكانته فى الحياة السياسـية والثقافية والفكرية، حيث التقى فى مشـهد عزاؤه جميع أطياف النخب السياسـية والفكرية من اليسـار واليسـار القومى والليبراليين وغيرهم، وكذلك مختلـف الأجيال من هذه النخبة، ودلالـة ذلك هـى بالتأكيد الاتفاق حول أهمية الدور الـذى لعبه الراحل الكبير فى الحقل السـياسى والفكـرى طيلة العقود المنصرمة، لقـد درجنا، نحن المصريين، عـلى الاعتراف المتأخر بمكانة وأهمية من يرحل عن عالمنا، وكأنه تنقصنا الجرأة والشجاعة على الاعتراف بمكانة الأشخاص والرموز الوطنية فى أثناء حياتهم أو أننا نبخل عليهم ببضع كلمات فى أثناء حياتهم قد تمنحهم بعض الأمل فى الحياة أو تحثهم على التمسك بما بقى منها.

د. عبدالعليم محمد

رفعت السعيد

خبرات نادرة في السياسة والتاريخ والثقافة

جمـع الدكتـور رفعـت السعيد خـبرات نادرة فـى السياسـة العمليـة والنظريـة والتاريـخ والثقافـة وجمـع فـى وقـت واحد بـين وجوه متعـددة، ولكنهـا لم تكـن متضاربـة بـل كانت جميعها تسترشد بنموذج إيديولوجى وفكرى وسياسـى قابـل للجـدل والاختـلاف، ولكنـه يحمل على الاحـترام والتقدير، فهـو المناضل الاشتراكـى فـى إطـار الظـروف التاريخيـة الوطنيـة والعالميـة التـى رسمت صـورة ذلك النضـال، كما أنه المثقف الـذى حاول أن يكون عضويـا بتعبـير «جرامشى"وموسوعيـا بحكـم تنقلـه بـين حقـول التاريـخ والثقافـة والفكـر والسياسـة ووجـه الإنسـان الكونى والأممى الـذى يضع هموم وطنـه فى التحرر الوطنـى والاجتماعـى فى إطـار أشمل وممتد إقليميـا ودوليا وما يترتب علـى ذلك من أعباء ومواءمات والتزامات.

انتقـل الدكتـور رفعـت السعيـد فـى حياتـه النضالية الحافلة مـن الدعوة للتغيير الثورى إلى الدعـوة للإصلاح والتنويـر، واستند هذا الانتقال إلى مرجعيته الإيديولوجية والفكرية، حيث كان لينين المنظـر الماركسى وزعيم ثورة ١٩١٧ البلشفيـة يقـول «إن الثـورى يمكن أن يكـون إصلاحيـا فـى حـين أن الإصلاحـى لا يمكـن أن يكون ثوريـا» ومن ثم كانـت دعوته الإصلاحيـة تقـع فـى صلـب تطويـر الدعـوة إلى التغيـير واختلاف الظـروف والملابسات، وتطويـع النمـوذج الإيديولوجـى ليتلاءم مع الواقع والضـرورات العمليـة، وكان يرى من ثم أن إعلاء الإيديولوجيا على الواقع نوع من الجمـود والسلفية بـل والأصولية ويدخل فى صلـب تقديس النصوص غـير المقدسة ويعزز من عزلة اليسار.

فـى منظور هـذا الزمـان المعلـوم، مـن المؤكد أن القيـم والأفـكار والأهـداف التـى احتواها النمـوذج الإيديولوجـى والفكـرى للدكتـور رفعـت السعيد قد تغـيرت، وتحولت واتخذت مناحـى مختلفـة وسلكـت سبلا غـير تقليدية، ومـع ذلك فـإن موقـف الدكتور رفعـت السعيد منها كان صادقا وجديرا بالاحترام والتقدير.

مرت حياة رفعـت السعيـد بمراحل ومحطات متميزة ومتغيرة وفق الظـروف ووفق رؤيته السياسـية، ففـى مرحلـة السـادات وبدايـة الانفتـاح الاقتصـادى وبدء تحلـل النظام من التزاماتـه تجاه حقـوق الكادحـين والبسطاء أعطى الأولوية للدفاع عن العدالة الاجتماعية، ودعم بقوة انتفاضة الخبز فى عام ١٩٧٧ ومن شاركوا فيها من المناضلين اليساريين وغيرهم سـواء مـن كان يعرفهـم أو مـن لا يعرفهـم، فجميعهـم سـواء أكانـوا أعضـاء فـى الحزب الذى شارك فى قيادته أم ينتمون إلى جماعات يساريـة أخـرى ولم يخلط رفعـت السعيد بين موقفـه من النظام وإدارته وبـين الدولة وركز انتقاداتـه وممارساتـه حـول السياسات التى فتحـت الباب للالتفاف حـول حقوق المواطنين المكتسبة.

وفى مرحلـة مبارك ومنـذ بدايـة الثمانينيات ركز رفعت السعيد على دعم الدولة فى مواجهة الإرهـاب ودافـع عـن الدولـة المدنيـة، وتبنى موقفـا صارمـا ضـد خلـط السياسـة بالدين، حيـث إن ذلك فى تقديره يفسـد الدولة والدين فـى آن واحد. كانـت الدولة المدنيـة فى رؤيته هى الوعاء الحديث والصحى والملائم لتحقيق المواطنة والمساواة وحرية الاعتقاد والضمير، ودق أجراس الإنذار مبكرا للتنبيه إلى خطورة هذا الخلط بين الدين والسياسة وربما كان من القلائـل الذين يذكر لهم السبـق فى هذا المجال وظل على هذا المنوال حتى وافته المنية.

كان يـدرك مخاطـر «التأسلم"كمـا كان يسمى أولئـك الداعـين إلى هذا الخلط علـى الوحدة الوطنيـة بـين المسلمـين والأقبـاط بـل بـين المسلمين بعضهم بعضا، كما كان يدرك أن هذا الطريـق أى هذا الخلط هو الوصفة السحرية لتفكيك الدولة الحديثة وهدم البنى المؤسسية والدستوريـة والقانونيـة التـى تأسسـت عليهـا عـبر مـا يفـوق القرنـين مـن الإصلاح والنهضـة والتنويـر، هذا الخلط فـى تقديره كان هـو طريق العـودة إلى القبليـة والعرقية والعشائريـة والبنى التقليدية لمـا قبل الدولة الحديثة.

خـبر رفعـت السعيـد، مـن خـلال احتكاكـه بهـذه الجماعـات فـى السجـون وخارجهـا، المرجعيـة الفكريـة لها وثوابتهـا التى تتمسح بمسـوح القداسـة وجمودهـا واستعصائهـا علـى التطـور واستيعاب المتغيـرات الوطنية والإقليمية والعالميـة وتوجهها صوب الماضى وليـس صـوب المستقبل، واتخاذ هـذا المضى نموذجا يحتذى وهى دعوة فى نظره منفصلة عـن الواقـع المعاش، كان يـرى أن دعـوى الخصوصيـة التـى ترفعهـا هـذه الجماعـات هى دعوى ظاهرها الرحمـة وباطنها العذاب، وتمثل نصف الحقيقة فقـط، فالصحيح أن ثم خصوصيـة فـى ثقافتنـا ومجتمعاتنـا، ولكن هـذه الخصوصية لا يمكن أن تعنى الانفصال عن العـالم المعاصر والعودة إلى الماضى الذى تنشده هذه الجماعات.

ولا شـك فى أن هذا التحول فى مسار السعيد السياسـى والفكرى مـن التغيير الثورى إلى الإصلاح ومساندة الدولة فى مواجهة الإرهاب والدفـاع عن الدولـة المدنيـة، لا يقتصر عليه وحـده، بل شمل العديد مـن رموز اليسار فى العديد من الدول وتغير مفهوم اليسار ليتخذ مسالك جديدة فـى الدفاع عن حقوق الإنسان والدولة المدنيـة ومكافحة الفقـر، ومناهضة العولمـة والدفـاع عـن الأقليات، وفـى فرنسا انخـرط العديـد من رمـوز اليسـار الفرنسى ويسـار ١٩٦٨ فـى البنـى المؤسسـية للدولة الفرنسـية، خاصـة بعـد انتهـاء الاستقطاب الإيديولوجـى بين اليمـين واليسار، وظهور مـا يسميـه بعض الكتـاب «الإيديولوجيـة الناعمـة أو الرخوة"والتى تنحـو نحو ملء هـذا الفـراغ وتـروج لقيـم حقـوق الإنسان والتضامن والكرامة الإنسانية.

يظل رفعـت السعيد رغم رحيلـه أحد مصادر تكويـن مختلف الأجيال مـن اليسار وخاصة جيـل ١٩٧٢، فمـن خلاله تعرفنـا على تاريخ الحركـة الشيوعيـة والوطنيـة، وتعلمنا منه قيمة الالتـزام والاجتهاد وتقبـل النقد البناء ورفـض الدخـول فـى المهاتـرات الشخصية وحملات التشويه.